

## المحاضرة الثالثة عشر

### نظريات نشوء الدولة ( أصل الدولة )

لقد تعددت نظريات نشوء الدولة واختلط بعضها مع نشوء السلطة السياسية ، فبالرغم من ان النظرية تتضمن فرضيات قابلة للصحة والخطأ فان نظريات نشوء الدولة قد تعرضت للنقد من عدم امكانية واقعيها خاصة في الفكر الغربي لكن هذا لا يمنعنا من تناول اهم النظريات التي فسرت نشوء الدولة وهي :

#### اولا : النظرية الدينية

تذهب هذه النظرية في تفسير اصل الدولة مذهباً دينياً وغيبياً ، أي انها تنسب مصدر السلطة الى الاله الخالق وتبعا لهذا الاتجاه وتبعا لهذا الاتجاه فأن السلطة مصدرها الله فهو يختار من يشاء وما دام الحاكم يستمد سلطته من مصدر الهي فهو اذا اسمى من الطبقة البشرية ولا يمكن اخضاع سلطته و ارادته لأية سلطة او ارادة من جانب المحكومين طالما ان الحاكم حسب هذه الافكار منفذا للمشيئة الالهية ، ولهذه النظرية تسميات عدة من قبل ( المذاهب الدينية ، والنظرية السماوية ، النشأة المقدسة للدولة ) ، وتجمع الطروحات الدينية لأصل الدولة صفة مشتركة وهي انها جميعها تفسر السلطة السياسية في الدولة وتبرر مشروعيتها بالاستناد الى قوة اعلى من قوة البشر وهي ( الله ) والله هو الذي خلق ظاهرة السلطة واختار قادتها بإرادته وبممارسة هذه السلطة والغرض من هذا الاختيار هو دفع الفوضى بين الناس ، وقد اخذت هذه النظرية شكليين مثاليين : الشكل الاول كان فيه مصدر السلطة الاله مباشرة اي ان الاله هو يختار الحكام بنفسه ويزودهم بالسلطات اللازمة لإدارة شؤون البشر ، اما الشكل الثاني فيعتمد على الالهة كمصدر غير مباشر للسلطة عن طريق الشعب اي ان الشعب هو من يختار الحكام.

#### ثانيا : نظرية القوة

يؤكد انصار هذه النظرية ان الدولة تكونت بواسطة القهر والقوة وسيطرت القوي على الضعيف ، اي ان هذه النظرية تقوم على الايمان بفكرة البقاء للأصلح وتعتمد هذه النظرية في تفسيرها لنشوء الدولة ان الحياة قبل نشأة المجتمعات كانت تخضع لقانون الغابة فكانت الاسرة الصغيرة لا تستطيع الحياة بدون القوة والعنف والغلبة ولتستمر بالبقاء كان لزاما عليها ان تدخل في صراع مع الاخرين ، وحينما يتم الانتصار من قبل اسرة قوية على اسرة ضعيفة فأن الضعيفة اما ان تختفي من الوجود ام تنضم للاسرة القوية وتخضع لها ، وهناك من يرى ان القوة ليست بالضرورة ان تكون قوة وحشية او عنف بل يمكن ان تكون قوة متمثلة بالسلطة الدينية او القوة الاقتصادية .

#### ثالثا : نظرية الاسرة

يؤمن رواد هذه النظرية بأن الدولة ظاهرة طبيعية من ظواهر الاجتماع الانساني جاءت نتيجة تطور تاريخي اجتماعي طويل ويرجع انصار هذه النظرية اصل نشوء الدولة الى الصورة

الصغيرة للدولة اذا نمت الاسرة واصبحت عائلة ومن ثم نمت وتطورت وباجتماع بضعة عائلات تكونت العشيرة ثم اتسعت العشيرة الى عشائر عدة ادى اجتماعها الى تكوين القبيلة التي اتسعت الى قبائل عدة وحينما استقرت هذه القبائل على بقعة من الارض تكونت القرية وانقسمت الى قرى عديدة ومن اجتماع هذه القرى بعضها ببعض تكونت المدينة ومن اجتماع هذه المدن تكونت الدولة والصيرورة ذاتها طالت سلطة رئيس الدولة والاخيرة تعود في اصلها الى رب الاسرة ثم رئيس العشيرة وبعدها رئيس القبيلة ومن واخيرا رئيس الدولة اي ان سلطة الهيئة الحاكمة في الدولة ترجع الى السلطة الابوية ، وعلى الرغم من الانتقادات التي تعرضت لها هذه النظرية مثل ان رب الاسرة لم يكن يمتلك سلطة على افراد اسرته أو ان الاسرة لم تكن هي بداية الحياة الانسانية وانما مرت هذه الحياة بأطوار مختلفة قد لا تكون الاسرة هي الخلية الاولى فيها ولكن على الرغم من هذه الانتقادات الا انه من المؤكد ان الاسرة تمثل احدى حلقات تطور الحياة الانسانية والاجتماعية وان اختلفت سلطة الاب على العائلة عن السلطة السياسية في الدولة .

### رابعا : نظريات العقد لاجتماعي

هناك من يرجع اصل ظهور هذه النظريات الى العصور القديمة عند اليونان والرومان والبعض الاخر يرى انها تعود الى القرن السادس عشر على يد كل ( هوبز ، لوك / روسو ) وتتركز افكار الفلاسفة الثلاثة حول حياة الافراد الفطرية والبدائية والتي لم تستطيع قوانينها تنظيم ما يستجد في هذه الحياة من علاقات انسانية مما دعت الافراد الى التفكير بترك هذه الحياة وتكوين مجتمع سياسي ينظم لهم جوانب الحياة المختلفة ويكفل لهم الاستقرار الكامل مما دفعهم الى ابرام عقد اجتماعي نشأت بمقتضاه السلطة الحاكمة ' وان نظرية العقد الاجتماعي تشترك بثلاث فرضيات الاولى ( حالة الفطرة الاولى ) اي الحياة البدائية الاولى التي عاش في ظلها الانسان قبل قيام الدولة والفرضية الثانية ( العقد الاجتماعي ) وهو اتفاق قانوني جماعي ملزم والفرضية الثالثة ( قيام الدولة ) وهي ثمرة ابرام العقد الاجتماعي ، ويمكن تلخيص ابرز ما جاء في افكار المفكرين الثلاثة لهذه النظرية بما يلي :

**\*هوبز:** قد صور هوبز الحالة الفطرية بصورة وحشية يسودها العنف والقوة والغلبة بين بني البشر والصراع المستمر من اجل البقاء والسبب هو انانية النفس البشرية وحب الذات وللخروج من هذه الحالة يرى هوبز ان الافراد لجأوا الى ابرام عقد اجتماعي وهذا العقد تم بين الافراد وان الحاكم لم يكن طرفا في العقد لانه لم يكن اكتسب هذه الصفة بعد حيث اتفق الافراد فيما بينهم على العيش معا في سلام تحت سيطرة واحد منهم يتولى الدفاع عنهم مقابل التنازل عن جميع ما يتمتعون به من حقوق طبيعية فالحاكم لم يشترك بالعقد وانما قام الافراد باختياره وتنازلوا له عن كل حقوقهم لكي يدير امورهم .

**\*لوك:** يصور لوك الحياة الفطرية بانها كانت تتسم بالتضامن الاجتماعي بين الافراد والتعاون والمساواة وكانوا احرار متساوون في ظل القانون الطبيعي لكنهم كانوا يرغبون بحياة اكثر تنظيم وحال افضل وانتقال من المجتمع الطبيعي الى مجتمع منظم اي من مجتمع بغير سلطة الى مجتمع فيه سلطة ، وعليه اتفق الافراد على تحقيق ذلك عن طريق ابرام عقد اجتماعي

وهذا العقد عند لوك بين الافراد والحاكم لكن التنازل يكون بجزء من الحقوق وليس بالحقوق كلها اي يتنازل الافراد بالقدر اللازم الذي يسمح بإقامة السلطة العامة في المجتمع الجديد .

**\*روسو :** يصف روسو حالة الفطرة بأن الانسان كان فيها يتمتع بالحرية والاستقلال فأن تعدد المصالح الفردية وتضاربها قد يؤدي الى تعرض حقوق الفرد وحرية للخطر لذلك عمل الافراد على ترك حياة العزلة التي كان يحياها الافراد البدائيون غير الخاضعين لأية سلطة عليهم والدخول في مجتمع منظم حفاظا لحقوقهم وصيانة لحياتهم ، وعليه قرر الافراد ترك حالة الطبيعة وذلك عن طريق ابرام عقد فيما بينهم تخلوا فيه عن حقوقهم وحياتهم للمجموع وليس لفرد معين اي تنازل بالحقوق للمجتمع وهذا التنازل نتج عن ارادة جماعية تسمى ( الارادة العامة ) التي لا يمكن التنازل عنها فكأن الافراد لم يتنازلوا عن كافة حقوقهم ، فكل ما فعله الافراد هو استبدال الحقوق والحريات الطبيعية بحقوق وحيريات مدنية .

### خامسا: نظرية التطور التاريخي

يرجع اصل نشأة الدولة وفقا لهذه النظرية الى مجموعة عوامل مختلفة تفاعلت على مر الزمن حتى نشأت الدولة اي انها لم تظهر فجأة وبناء على عامل واحد فقط مثل اسرة او قوة او اتفاق بين الافراد مثلا ، وانما يعود اصلها لعوامل متعددة منها القوة الاقتصادية والمادية والى عوامل دينية ولغوية وعقائدية وتختلف هذه العوامل من دولة الى اخرى ، اي ان الدولة ظاهرة طبيعية نتجت عن تفاعل عوامل مختلفة عبر فترات طويلة من التطور التاريخي الذي ادى الى تجمع الافراد للتعايش معا ويمكن اعتبار عامل القرابة اولا واليه يعود وجود المجتمع حيث لعبت روابط القرابة دورا في تدعيم مشاعر الوحدة والتضامن بين الناس ، وكذلك عامل الدين وكذلك الأنشطة الاقتصادية ، والوعي السياسي اي الوعي المجتمعي بوجود مصالح مشتركة تربط الجماعة بعضها ببعض .